

# الطريق إلى مكة تأليف الأستاذ محمد أصد

نقله الى العربية الأستاذ عفيف البلبكي

هو كتاب جليل ، شرقي غربي ، ديني مدني ، ومؤلفه الأستاذ محمد أصد رجل عصامي .  
أما تسمية المؤلف إياه باسمه هذا ، فقد أبان أنه لما كان في برلين ، قصد إلى  
صديق له مسلم هندي ، - وقد كان رئيس الجالية الإسلامية - وأعلمه برغبته  
في الإسلام ، فوضع يده اليمنى بيده ، ويجذور شاهدين شهد أن لا إله  
إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فقال له صديقه المسلم : لقد كان اسمك  
حتى الآن ليوبولد ( Leopold ) وكلمة ( Leo ) اليونانية معناها أصد ، إذن  
سندعوك من الآن فصاعداً « محمد أصد » وبعد بضعة أسابيع اعتنقت أولى زوجاته  
الإسلام . قضى المؤلف سنّ الطفولة في المدينة البولونية المعروفة بـ « لبرج »  
Lemberg ، وقد كانت جزءاً من بلاد النمسا ، وقام في سن الشباب مع

- 
- ( ١ ) ولعل رواية الأصل أولى .  
( ٢ ) هذا وقد ذكر الأستاذ رشدي الحكيم من الانتقاد بعض ما سبقه إليه الدكتور  
مصطفى جواد ونشر في المجلة ( مج ٣٢ ج ٣ ص ٥٣٣ - ٥٣٩ ) وج ٤ ص ٦٨١ - ٦٨٤ )  
لذلك لم نر مجالاً لإعادة نشره .

والده الرياضي المحامي برحلات واسعة في فيينا وبرلين وجبال الألب وغابات بوهيميا وبحر الشمال وبحر البلطيك ، فبدأت له في رحلاته عوالم جديدة ، وكان جده لأمه صيرفيًا ثريًا ، ذا أملاك واسعة . وأما جده لأبيه فقد كان حاخامًا في عاصمة مقاطعة بوكوفينا التي كانت نمسوية وقتئذ .

وقد نظر محمد أسد ، في الأديان السماوية نظر استقلال واستقلال ، فرأى اليهودية تفضل جنسها على سائر بني الإنسان ، وتسمي نفسها شعب الله المختار ، ورأى المسيحية أقرب إلى العدل ، في نظرتها العامة الشاملة للبشر ، ولكنها تفصل بين الروح والجسد ، وقد قال ما موجزه : « وبمقتضى تقاليدنا العائلية كنت قد درست على أبدي أصاندة خصوصيين العلوم الدينية العبرانية بتعمق كبير ، لقد درست العهد القديم في الأصل ، وأصبح نص التلمود وشروحه مألوفين لدي ، وانهمكت في شرح الكتاب المقدس المسماة « تارغوم » تمامًا ، كما لو كان مقدرًا عليّ أن أصبح حاخامًا ؛ ولكن كان يبدو لي أن الله ( تعالى ) كما يثله العهد القديم والتلمود ، كان مهتمًا بأكثر مما ينبغي بالطقوس التي كان مفرضًا في عبادته أن يعبدوه بواسطتها ؛ كذلك خطر لي أن هذا الإله كان منشغل البال بصورة غريبة بمصائر أمة واحدة معينة أعني العبرانيين !! ولكن بالرغم من أن تأثير تلك الدراسات المبكرة ، التي تمت بها ، كان على عكس ما قصد بها ، إذ أنها أبعثتني عن دين آبائي وأجدادي ، بدلاً من أن تقريني منه ، فإنني كثيراً ما اعتقد أنها في السنوات التي تلت ، ساعدتني على أن أفهم الغرض الأساسي للدين » .

كانت رحلة المؤلف الأولى إلى الشرق ( سنة ١٩٢٢ ) بدعوة من خاله الدكتور الذي كان مقبلاً في القدس ، فلبى الدعوة ، وكان أسد - كما قال - شاباً أوربياً ( في الثانية والعشرين من عمره ) ناشئاً على الاعتقاد بأن الإسلام وكل تعاليمه لم يكن ليقارن بالدينيين اللذين يعتبرهما الغرب جديرين بالنظر

إليها نظرة جديدة - المسيحية واليهودية - ؛ ولكنه لما درس الإسلام دراسة واسعة واسعة رآه أعمّ وأشمل منها ، أو هو مكلّل لها ، إذ جمع بين مصالح الروح والجسد معاً .

وفي عام ١٩٢٦ م دخل في الإسلام ، وأخذ يشاطر العالم الإسلامي أهدافه وآماله . ودّع الأستاذ محمد أسد الغرب إلى الشرق ، واتصل بالعرب ، فأعجب بالكرم العربي ، والصفاء البدوي ، وقابل بين العرب واليهود في مدينة القدس ، ورأى أن الحق في جانب العرب ( قال ) : « وبرغم أنني من أصل يهودي فقد كنت أحمل من البدء مقاومة شديدة للصهيونية » وجرى له حوار شديد مع زعيمها الدكتور حاييم في القدس ، جعل بها أشدّ مزاعم خصم العرب من الوجهات القومية والتاريخية والوطنية هباءً منثوراً ، ونصر الله حق محمد أسد ، على باطل ذلك العدو الألد . وقد نشر الأستاذ مقالات في الصحف الألمانية عن انطباعاته في فلسطين ، وعيّن مراسلاً للصحف متجولاً في الشرق الأدنى . وقد وصف عدوان الغرب على الشرق ، وأن طابع الفريين : « التمييز لعناصرهم ، والتمزيق لغيرهم » . عاش في مصر معيشة فقر وصبر ، وعاشر العرب فعرف المزايا التي امتازوا بها على الغرب في حياته . علمه السفر الصبر على المكاره : فقد معطفه وفيه المال وجواز السفر ، فأتى دمشق من حيفا مشياً على قدميه ، وأدى إلى العرب في خيامهم ، بنام في بيوتهم ، وبأكل من طعامهم ، ورأى من عنت الطريق ومناعبه ما لا يكاد يحتمل .

وصف دمشق البلد العربي ، والجامع الأموي ، وحسن معاملة التاجر الدمشقي ، ثم عكف المؤلف بدمشق على دراسة الإسلام من كتبه ، فبدأ له أنه منهجاً للسلوك الشخصي والاجتماعي ، ورجحه على كتب المهديين بأنه لبس فيه محاباة لشعب معين ، وبأن الروح والجسد فيه كانا بمثابة وجهي توأمين للحياة الإنسانية التي أبدعها الله .

قال المؤلف يصف رحلته : « سرنا زيد - رفيقه وصديقه - وأنا على هينين اثنين ، وصرت الأيام ، وكانت الليالي قصارا ، ونحن نسير باتجاه الجنوب » .  
كان تأثير بلاد العرب في نفسه أبلغ من تأثير تركية وأوربية ، وصف في كتابه الحركة الوهاية ، والعقيدة السلفية ، والطريقة المستقيمة السنوسية ، والنهضة الأزهرية ، وقابل بين الإسلام والنصرانية ، وبين أن الإسلام انتشر في الشرق والغرب بفضل الله لا بمجدت السيف .

لم يبق للمؤلف من هم إلا التعرف بإخوانه المسلمين فقد أحبهم عرباً وعجماً ؛ ومن بعد أن عاش مع العرب سنين ، سافر إلى إيران وأفغانستان ، ثم رحل إلى روسية ، وقصد بعدها إلى فرانكفورت ، وكان اشتهر بمقالاته عن الشرق وأهله اشتهاً عظيماً ، وأخذ من بعد يشرح حقائق الإسلام ، وأنه دين إنساني عام ، فدعا إليه ، ورغب فيه .

نصح المؤلف لإخوانه في الإسلام بأنهم إذا تبنا - وهم في غير حاجة إلى أن يفعلوا ذلك - أشكال الحياة الغربية ، والآداب والعادات والمفاهيم الاجتماعية الغربية ، فإنهم لن يفيدوا من ذلك شيئاً ، ذلك أن ما يستطيع الغرب أن يقدمه لهم في هذا المضمار ، لن يكون أفضل وأسمى مما قدمته لهم ثقافتهم نفسها ، وما بد لهم عليه دينهم نفسه .

حج خمس مرات ، وشغفت قلبه تلك الشمائر والمنازل ، ولسان حاله يشد قول القائل : « لك يا منازل في القلوب منازل » وصف المسلمين في الحج والشج كأنك تراهم ، وختم حديثه معبراً عن إيمانه وإذعانه بقوله : « من وسط هذه الوديان ، انبثق أعظم دين في تاريخ الإنسان » .

وفي طليعة الكتاب مقدمة حافلة لصديقنا الدكتور العلامة عبد الوهاب عزام ، أتى فيها على مجمل ما في الكتاب بأسلوب شائق مؤثر .

تفضل صديقنا المؤلف فأهدى إليّ كتابه هذا ، وكتب عليه عبارة الإهداء وأولها : إلى أقدم أصدقائي في العالم الإسلامي . . . محمد بهجة البيطار مع ودي الخالص وتقديري ؛ وإنما وصفني بأني أقدم أصدقائه ، لأنني صحبته في مكة المكرمة عام ١٩٢٧ م ، ثم لقيته في دمشق ولبنان فلم تزدني معرفتي به إلا إعجاباً بإيمانه ، وبجبه الخالص للعروبة والإسلام .

محمد بهجة البيطار

ص

### تطور صناعة الزيت في الشرق الأوسط<sup>(١)</sup>

« كتاب يقع في ٤٠ صفحة من القطع الكبير ، واجهه وحرره الأستاذ وديع فلسطين ، وطبعته دار المعارف في مصر سنة ١٩٥٧ »

هذا كتاب صغير في عدد صفحاته ، كبير في كثافة مادته ، نسيج وحده بالعربية في خرائطه الجيولوجية والطبغرافية الملونة .  
لقد عُرف الأستاذ وديع فلسطين في دنيا الأدب والصحافة بقلمه الناصع ، وبيانه العربي المشرق ، فلا عجب أن يجول قلبه في هذا الكتاب جولةً بسّط فيها مواضيعه العلمية المختلفة بلغة سهلة وصحيحة .

وبلاد الشرق الأوسط التي ورد ذكرها في الكتاب هي إيران والعراق والمملكة العربية السعودية والبحرين والكويت وقطر . ومن المعروف أن حقول النفط فيها تقع كلها في الخليج العربي .

بدأ المؤلف حديثه بذكر ما ل النفط الشرق الأوسط من شأن في العالم ؛ ثم انتقل الى ذكر لمحة في التاريخ الحديث للبلاد الملمع اليها بلداً بلداً ، وفي

(١) الزيت في المعجمات الأصلية عصير الزيتون لا عصير غيره من النبات ، فهذا يسمي الدهن فيقال مثلاً دهن الورد ودهن الكتان ودهن البنفسج ودهن الورد وهكذا ، وقد درج المولدون على إطلاق كلمة الزيت تمييزاً على ما يسمي بالإنكليزية Oil أي على النفط الخام وكذلك على زيت الزيتون وأدهان النباتات السائرة .